مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(غلا ٥: ٢٢–٢٦؛ ٦: ١و٢)

يا إخوةُ إنَّ ثمرَ الروحِ هو المحبَّةُ والفرحُ والسلامُ وطولُ الأناةِ واللطفُ والصلاحُ* والإيمانُ والوداعةُ والعفافُ. وهذه ليس ناموسٌ ضِدَّها* والذينَ للمسيحِ صلبوا أجسادَهم مع الآلامِ والشهوات* فإنْ كنَّا نعيشُ بالروحِ فلنسلُكْ بالروحِ أيضاً* ولا نَكُنْ ذوي عُجبٍ ولا نُغاضِبْ ولا نَحسُدْ بعضُنا بعضاً* يا إخوةُ إذا أُخِذَ أحدٌ في زلَّةٍ فأصلِحوا أنتم الروحيِّينَ مثلَ هذا بروحِ الوداعة. وتبصَّرْ أنتَ لنفسِكَ لئلاَّ تُجرَّبَ أنتَ أيضاً* إحمِلوا بعضُكم أثقالَ بعضٍ وهكذا أتِمُّوا ناموسَ المسيح.

الإنجيل

(متى ٨: ٥–١٣)

في ذلك الزمان دخل يسوع كَفَرْناحومَ فدنا إليه قائدُ مئةٍ وطلب إليه قائلاً

غلام قائد المئة

في نص الإنجيل الذي يُتلى علينا في هذا اليوم حادثة شفاء هي الثانية، في سياق النص، بعدما أتمَّ السيّد له المجد موعظته على الجبل، ناموس العهد الجديد كما سمّاها آباؤنا القديسون. لعل التسميَّة هذه مردّها إلى أن الرب قد أعلن، في الموعظة، الوعد الجديد بالخلاص المتجاوز لحدود شعب الله القديم، إلى الخليقة بأسرها، والتي من أجلها كلها أتى. الشفاء الأول بعد الموعظة ناله يهودي أبرص (متى ٨:١)، وهو مرذول بحسب الشريعة بسبب مرضه ما يعني أنه بات ضحية المرض من جهة، وقسوة الناموس من جهة ثانية. يقول بعض آبائنا القديسين ان الرب انحدر إلى هذا أولاً، ليعطي الناموسيين درس رحمة وعطف. وأنه أتى لا لينقض الشريعة بل ليتممها، كما قال على الجبل. أرسله بعد أن أبرأه من برصه إلى الكاهن، ليتمم ما أوجبه ناموس موسى (متى ٨:٤).

في كفرناحوم يقرن الرب تعاليمه بالأعمال. هناك نجد الرب يسوع وإتماماً لناموس الله، يحمل خيرات خلاصه إلى الأمم، إلى الذين أقصتهم شريعة اليهود، بشخص ضابط روماني وثني يلتمس شفاء غلامه المريض. اللافت هنا أن قائد المئة لم يتردد، بالرغم من وثنيته، في التماس الشفاء لغلامه من يسوع، ولعل هذه الثقة سببها إيمانه وإن كان لا يعيه بعد. في تراثنا الآبائي، يمثّل قائد المئة جماعة الأمم، المفتقدة للشركة مع الله، والآتية إلى المسيح فقط لما سمعته عنه بالبشارة. وإذا أردنا تطبيق قصة قائد المئة الروماني على زماننا الحاضر، فإنه النفس البشرية التي متى وعت سقمها، بُعدها عن الله، تتجاوز عِقَد المجتمع ومسلّماته وتأتي إلى المسيح، ملتمسة منه الحياة. المفلوج إنسان عاجز لا قوة له ولا قدرة وإن كان في جسده نبض حياة. الضال عن الله هو رمزياً مفلوج، عاجز القوى، لكن نبض الحياة فيه لأنه معطى له من الله، وهو ضال وليس مبتعداً طوعاً. لهذا يقول المسيح «أنا آتي وأشفيه»، كما أجاب قائد المئة على الفور.

ثمة جانب هام من عقيدة الخلاص يضيء عليه الإنجيل هنا. فالمسيح وإن كان قائماً بالفعل في وسط كنيسته، كنيسة المعتمدين على اسم

العدد ٢٠٠٩/٢٧

الأحد ٥ تموز

تذكار أبوينا البارَّين أثناسيوس الآثوسي الذي كان في جبل آثوس ولمبادوس العجائبي

اللحن الثالث

إنجيل السحر الرابع

يا ربُّ إنَّ فتايَ مُلقًى في البيت مُخَلَّعاً يُعَذَّبُ بعذابٍ شديد* فقال له يسوع أنا آتي وأَشْفيهِ. فأجاب قائدُ المئَةِ قائلاً يا ربُّ لستُ مستحِقًّا أن تدخُلَ تحتَ سقفي ولكن قُلْ كلِمةً لا غيرُ فيبرأ فتايَ* فإنّي أنا إنسانٌ تحت سلطانٍ ولي جندٌ تحت يدي أقولُ لهذا اذهبْ فيذهَبُ وللآخرِ ائْتِ فيأتي ولعَبْدي إعمَلْ فيعمَلُ* فلما سمع يسوع تعجَّب وقال للذينَ يتبعونه الحقَّ أقول لكم إنّي لم أجِدْ إيماناً بمقدارِ هذا ولا في إسرائيل* أقول لكم إنَّ كثيرين سيأتون مِنَ المشارقِ والمغاربِ ويتَّكئون مع إبرهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ في ملكوتِ السموات* وأمَّا بنو الملكوتِ فيُلقَون في الظلمةِ البَرَّانيَّةِ. هناك يكونُ البكاءُ وصريفُ الأسنان* ثمَّ قال يسوع لقائد المئة إذهَبْ وليكُنْ لك كما آمنْتَ* فشُفيَ فتاهُ في تلك الساعة.

تأمل

إن قال أحد: لماذا لم يكرّم الرب قائد المئة بالذهاب في النهاية إلى بيته نقول إنه كرّمه إكراماً كبيراً إذ امتدح الثالوث الأقدس والمعلنين إيمانهم به رباً واحداً إلهاً من إله، إلاّ أنه أتى إلى البشرية لكي لا يبقى واحد منها خارج خلاصه. المسيح لم يأنف من الدخول إلى بيت دنسته الأوثان، عبادة الدنيا وما فيها، فقط لأن صاحب هذا البيت أتى إليه باتضاع العارف بضعفه، والواثق بمصدر خلاصه في الوقت عينه. كم من مرة يقع المسيحي في فخ الاعتداد بمسيحية لا يحياها إلا سطحياً، فيتعالى على الآخرين ببعض أعمال ومظاهر تقوى يظنها تكفيه للخلاص؟ أليس هذا أشبه بأولئك الذين أساءوا فهم ناموس الله وشرائعه، فاحتكروه لهم بل وحاولوا تحجيمه إلى قياسهم؟

من النص الإنجيلي نفهم أن كلمة السيد «أنا آتي وأشفيه» أظهرت الاتضاع (لست مستحقاً أن تدخل تحت سقف بيتي) المملوء إيماناً (لكن قل كلمة لا غير فيبرأ فتاي) لدى قائد المئة. أكثر من هذا فقد أعلن الرجل وإن بكلماته وتشابيهه الخاصة إيماناً بشخص المخلص وبسلطانه الذي لا مراجعة فيه على الحياة والموت (أقول لهذا إذهب فيذهب، ولآخر ائتِ فيأتي). لقد تعجّب الرب يسوع من عظمة إيمان الرجل لا لأنه ما كان عارفاً به بل لكي يعطيه في آذان السامعين وقعاً أكبر. بمجرّد أن اعتبر الرجل نفسه غير أهل لأن يدخل السيد بيته أظهر نفسه مستحقاً لأن يدخل الرب قلبه ويملك عليه. يقول آباؤنا القديسون إن قائد المئة بانسحاقه وإيمانه العميقين استحق أن يملأ قلبه وكيانه مَن لا تسعه السماء ولا الأرض. صحيح أن الرب لم يدخل بالفعل إلى بيت الضابط، بل اجتاحه بخلاصه وشفى غلامه. هي كلمة، نال بها الوثني شهوة قلبه واستدعت لأهل بيت الله، أو من ادّعوا أنهم كذلك، توبيخاً. «شعبٌ لم أعرِفْهُ يتعبَّدُ لي. مِن سَماعِ الأُذُنِ يسمعونَ لي»، يقول كتاب المزامير (١٨: ٤٣-٤٤). لقد جعل إيمان هذا الوثني ابن الله الوحيد، الذي به كان كل شيء، يتعجّب: أثمن ما على قلب الله عودة الإنسان إليه.

فيما يلي ينتقل التعليم الإلهي إلى مستوى آخر، وهو الأرهب. «سيأتون من المشارق والمغارب»، أي مَن هم مقصون في عيون المدعي الإيمان، لينعموا في ملكوت السموات في بهجة الحضور الإلهي. أما بنو الملكوت، أي الذين أعطي لهم في الأساس، فإلى الظلمة البرانية أي إلى الحرمان من بهجة الحضور الإلهي. ليس في هذا الكلام عن لسان الرب دينونة بل تحذير، والتحذير يطالنا في كل زمان ومكان: مَن ليس لديه اتضاع هذا الوثني وإيمانه فهو مرتدّ عن الله، و«هناك يكون البكاء وصرير الأسنان».

بولس المثال

«كونوا مُتمَثِّلينَ بي كما أنا أيضاً بالمسيح» (١ كور ١١: ١).

بهذه الكلمات يتوجَّه الرسول بولس إلى كل مؤمن دُعي مسيحياً بفعل مسحة الروح القدس التي نالها يوم معموديته كي يكون شاهداً للرب في حياته، ويكون نموذجاً لكل مَن يحيا معه ويقوده نحو طريق الملكوت والخلاص. يدعو بولس أهل كورنثوس وعبرهم كل المؤمنين أن يتمثّلوا به، كما تمثّل هو بالرب، ليكونوا قدوة ومثالاً لغيرهم كي تصل البشارة صحيحة إليهم. والأمر ليس محصوراً

إيمانه علناً دون أن يذهب إلى بيته. وكذلك كرّمه بإدخاله إلى الملكوت وفضّله عن الأمّة اليهودية...

وربّ قائل آخر: لماذا لم يحظَ الأبرص بمثل هذا الإكرام بالرغم من إيمانه الكبير الذي يفوق إيمان قائد المئة، إذ لم يقل «قل كلمة فقط»، بل قال «إن أردتَ تقدر» (متى ٨: ٢)، والنبي يقول عن الآب: «كل ما شاء صنع» (مز ١١٣: ١١). هنا أقول إن قائد المئة لم يكن يهودياً، وبالرغم من ذلك وصل إلى مفهوم سامٍ جداً عن المسيح، ولذلك يستحق المديح. وأعتقد أنه كان يرى المراتب السماوية، الأهواء والموت، وكل الأمور الأخرى خاضعةً للمسيح كما يخضع الجنود للضابط. لذلك قال «لأني أنا أيضاً إنسان تحت سلطان، لي جند تحت يدي...» (متى ٨: ٩)، وكأنه يقول: أنت هو الله، بينما أنا إنسان. أنا تحت سلطان، أما أنت فلست تحت سلطان أحد. إن كنتُ وأنا إنسان أستطيع أن أفعل أشياء كثيرة، فكم

بالإكليريكيين وحدهم، فكل علماني وعلمانية نال وزناته يوم معموديته، وهذه لا يمكن طمرها.

هناك عدّة نقاط بارزة في حياة بولس الرسول ومميزات تجعل منه نموذجاً يُقتدى به. فهو يعتبر نفسه رسولاً بنعمة الله وليس بفعل خصائله هو. بل إذا نظر إلى حياته السابقة حيث كان يعمل على اضطهاد «كنيسة الله بإفراط» (غلا ١: ١٣) وإتلافها، فإنه يستوجب الدينونة. لكن الله بنعمته المجانية شاء أمراً آخر لبولس، وهو أن يبشّر بابنه الذي يضطهد بولس كنيسته : «ولكن لمّا سَرَّ اللهَ الذي أفرَزَني من بطنِ أمّي ودعاني بنعمته أن يُعلِنَ ابنَهُ فيَّ لأُبشِّرَ به بينَ الأمَمِ للوقتِ لم أَسْتَشِرْ لحماً ودماً» (غلا ١: ١٥–١٦). إذاً، كل واحد منا مسيحيٌ لأن الله أنعم عليه بهذه النعمة، وهذه النعمة المجانية تهدف إلى أن يعلن كل واحد منا في حياته اسم يسوع الذي صُلب وقام من بين الأموات لأجلنا، لا أن نعلن ذاتنا. كما علينا أن لا نضيّع الوقت في الإستشارات والمباحثات، «مُفتدينَ الوقتَ لأنَّ الأيَّامَ شريرةٌ» (أف ٥: ١٦). فمَن يضع يده على محراث الرب لا ينظر إلى الوراء لكي يرى ما سيقوله الناس. يترك نعمة الله تفعل فيه وهي تقوده كما قادت بولس الرسول الذي أسس الكنائس في معظم أنحاء المسكونة، وهي تنقذه من كل الصعوبات كما أنقذت بولس في رحلاته التبشيرية.

لا يصف الرسول بولس نفسه كمبشِّر أو راعٍ، لكنه يستعمل تعابير مجازيّة لوصفِ عمله في حقل الرب. أول هذه التعابير هي «سفير». يكتب إلى أهل كورنثوس: «إنَّ اللهَ كان في المسيحِ مُصالِحاً العالم لنفسه غيرَ حاسِبٍ لهم خطاياهم وواضعاً فينا كلمةَ المصالحة. إذاً نسعى كسُفَراءَ عن المسيحِ كأنَّ اللهَ يَعِظُ بنا. نطلُبُ عن المسيحِ تصالَحوا مع اللهِ» (٢ كور ٥: ١٩–٢٠). يعتبر بولس نفسه مندوباً وممثّلاً عن الله ومهمته الأساسية هي أن ينقل رسالة المصالحة مع الله بيسوع المسيح إلى كل الأمم. لم ينقل هذه الرسالة كباقي السفراء وهو يرتدي البذلة الرسمية، بل نقلها «في صَبرٍ كثيرٍ، في شدائِدَ، في ضروراتٍ، في ضِيقاتٍ، في ضَرَباتٍ، في سُجونٍ، في اضطِرابات، في أتعابٍ، في أسهارٍ، في أصوامٍ، في طهارةٍ، في عِلمٍ، في أناةٍ، في لُطفٍ في الرُّوحِ القُدُسِ في محبَّةٍ بلا رياءٍ» ٢ كور ٦: ٤–٦). هذه بالطبع لا تلازم عمل السفراء كما نعرف عملهم اليوم، لكن المهم ان بولس الرسول هو سفير عن الذي صالح العالم مع الله بموته. وبالتالي فإن «أوراق اعتماد» السفير بولس تتوافق مع ما قام به الرب يسوع المصلوب المدعو بولس لأن يمثّله. وهكذا كل واحد منا هو سفير بجهاده وبصليبه الذي يحمله على كتفيه طوعاً ليُعلن اسم الرب.

في حديثه عن نفسه وعن أبلّوس يقول: «فمَن هو بولُسُ ومَن هو أبُلُّوسُ. بل خادِمانِ آمنتم بواسِطتهما وكما أعطى الرَّبُّ لكلٍّ واحِدٍ. أنا غَرَسْتُ وأبُلُّوسُ سقى لكنَّ اللهَ كان يُنمّي. إذاً ليس الغارسُ شيئاً ولا الساقي بل اللهُ الذي يُنمّي... فإنّنا نحن عامِلانِ مع اللهِ وأنتم فلاحَةُ اللهِ. بِناءُ اللهِ» (١ كور ٣: ٥–٩). يفهم بولس نفسه ورسوليته أنه فلاح وعامل في حقل الرب، وهو ليس الوحيد وليس «فريد عصره». هناك آخرون عاملون في حقل الرب. الكنيسة هي حقل الرب

بالأحرى تفعل كإله وأنت لست تحت سلطان أحد؟

أنظر كيف أظهر قائد المئة أن ليسوع سلطة على الموت كسلطة السيّد على العبيد عندما قال: «اذهب فيذهب، وائتِ فيأتي، افعلْ هذا فيفعل». وهو يقصد بذلك: إن أمرتَ الموت خضع لك وابتعد عن عبدي. أنظر إلى أي حدّ كان إيمانه! فإن الأمر الذي سوف يظهر جلياً لاحقاً كان قائد المئة حاصلاً عليه، وهو أن الرب كان له سلطان على الحياة والموت، يقود إلى أسفل أبواب الجحيم، ويُنهض من هناك. لم يتكلم فقط عن الجنود بل أيضاً عن العبيد، ممّا يدلّ على طاعة أكبر. وبالرغم من إيمانه الكبير، كان يعتبر نفسه غير مستحق.

لقد أظهر المسيح ان قائد المئة مستحق لاستقبال السيد، وكذلك أظهر إعجابه الكبير به، وكرز بإيمانه أمام الجميع، وأعطاه أكثر مما كان ينتظر، لأنه لم يمنحه فقط العافية الجسدية بل أيضاً ملكوت السموات.

القديس يوحنا الذهبي الفم

ودعوته هي العمل والعمل بكد كما يعمل الفلاح دون كلل أو ملل. وطبيعة العمل الزراعي، كما نعلم، تتطلب نفساً طويلاً وصبراً والتزاماً ومثابرة لكي نحصل على الثمار. وقد يزرع أحدهم وغيره يحصد. هكذا هو العمل في حقل الرب. والأمر الأهم ان الزارع يبذر الحبوب في الأرض ويسقيها ولكن الذي ينمّي هو الله. على كل مؤمن مسيحي أن يزرع كلمة المسيح حوله ولا يضطرب فإن الله هو ينمّي هذه الكلمة في النفوس وهو يرسل روحه حيث يشاء.

أخيراً، يُعيد الرسول بولس سر نجاح رسوليته وبشارته إلى تعامله مع مَن يبشِّرهم كالأم المرضعة مع أولادها وكالأب مع أولاده: «فإننا لم نكن قطُّ في كلامِ تملُّقٍ كما تعلمونَ ولا في عِلَّةِ طَمَعٍ. اللهُ شاهِدٌ. ولا طَلَبنا مجداً من الناسِ لا مِنكم ولا من غَيْرِكم مع أنَّنا قادِرونَ أن نكونَ في وَقارِ كرُسُلِ المسيحِ. بل كنا مُترفقينَ في وَسَطِكم كما تُربِّي المُرضِعةُ أولادَها. هكذا إذ كُنَّا حانينَ إليكم كنَّا نرضى أن نُعطِيَكم لا إنجيلَ اللهِ فقط بل أنفُسَنا أيضاً... كما تعلمونَ كيف كنَّا نَعِظُ كُلَّ واحِدٍ منكم كالأبِ لأولادِهِ ونُشجعُكم» (١ تسا ٢: ٥–١١). هكذا، كما بولس الرسول، على كل مَن يتبع المسيح ويريد أن يشهد له أن يُعامل مَن حوله كالأم التي تبذل ذاتها عن أولادها وكالأب الذي يعمل كل ما باستطاعته لتربية وتنمية أولاده جسدياً وروحياً.

أن تكون مسيحياً ليس منصباً شرفياً بل حياة عملية مليئة بالجهاد والكد في سبيل مجد الله، تماماً كما فعل الرسول بولس المجيد.

من أقوال الآباء

إن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله، كما قال الرسول (١ كو ٣: ١٩)؛ أما الحكمة التي من الله فهي منحدرة من أب الأنوار ودليلها التواضع (يع ١: ١٧).

إن الذين يبتغون إرضاء الناس قبلوا الحكمة البشرية بدل الإلهية فانتفخوا وافتخروا بهذه الحكمة، وضلّلوا كثيرين من الناس البسطاء مقنعين إياهم باتخاذ الفلسفة الكلامية أسلوباً لحياتهم بدل الصلاة وحسن العبادة اللتين تصيران بالكدّ والتعب. هذه الحكمة البشرية كان يشهّر بها الرسول باستمرار ويدعوها «بطلاناً لصليب المسيح» (١ كو ١: ١٧، و٢: ٤).

فقد قال في رسالته إلى أهل كورنثوس «لم يرسلني المسيح لأعمّد وإنمّا لأبشِّر لا بكلام الحكمة (البشرية) حتى لا يبطل صليب المسيح» (١ كو ١: ١٧). وفي مكان آخر يقول أيضاً: «لقد اختار الله جهّال العالم لكي يخزي الحكماء، واختار أدنياء العالم والضعفاء وغير الموجود ليبطل الموجود حتى لا يفتخر كل ذي جسد أمامه» (أنظر ١ كو ١: ٢٧).

فما دام الله لا يرتضي بأقوال الحكمة اليونانية وإنما بأتعاب الصلاة والاتضاع كما اتّضح، فلنبتعد إذاً نحن أيضاً ابتعاداً كلياً عن المعرفة الكاذبة (المزيفة) حتى لا ننفصل عن حكمة الله.

القديس مرقس الأفسسي

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb